امهات الكتب العربية القديمة

وعناية المشرقيات في الغرب

٢

[اشرنا في مقتطف يونيو الماضي الى الخطبة النفيسة التي القاها الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق في دار المعلمين العليا بمصر وموضوعها « اثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية » ونقلنا منها ما جاء فيها عن امهات الكتب العربية التي نشرت في فرنسا وسويسرا وبلجيكا وجرمانيا وهولانده ومن بين المستشرقين نشرها وطبق حواشيها . وفي هذا الجزء ذكر ما نُشر من هذه الكتب في انكلترا والولايات المتحدة وايطاليا واسبانيا وروسيا و بولونيا وغيرها]

في انكلترا والولايات المتحدة ﴿ من اول ما نشر الانكليز من الكتب كتاب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي ونشر (بوكوك) مختصر الدول لابي الفرج الملطي ونظم الجوهر لسعيد بن بطريق و (كورتون) الملل والنحل للشهرستاني وعقيدة اهل السنة لمحافظ النسفي ورحلة البطريرك مكاريوس و(لوسدون) مقامات الحريري ونفحة اليمن لاحمد الشرواني وشرح الملحقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي و(تاسو) الكشاف للزمخشري وتاريخ الخلفاء للسيوطي ونوادر القليوبي وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ونخبة الفكر لابن حجر العسقلاني . ونشر (هاربس خون) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم و(همر)شوق المستهام في حل رموز الاقلام لابن وحشية و(بالمر)ديوان زهير المصري و(صموئيل لاي) الاشارات في معرفة الزيارات للهراوي و(رايت)الكامل للمبرد ورحلة ابن جبير ومجموعة سماها جُرزة الحاطب وتحفة الطالب فيها ديوان طهمان بن عمرو الكلابي تأليف ابي الحسن الكرخي وتلقيب القواني لابن كيسان وصفة السرج واللجام لابن دريد والعصاب والنيث واخبار الرواية . و(ايدروس) تاريخ الوزراء للصابي وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي و(برونو) كتاب الموشى للوشاء والاتباع والمزاوجة لابن فارس . و(كارلايل) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة لابن تغربردي . و(موجليوث) معجم الادباء لياقوت الحموي والانساب للسمعاني ونثار

المحاضرة للتنوخي ورسائل المعري وديوان التهاربذي . و(فنكل) ثلاث رسائل للجاحظ فيها الرد على النصارى وذم اخلاق الكتاب ورسالة القيان و (ارنولد) كتاب المنية والامل للمرتضى في ذكر المعتزلة . و(كاسل كاي) مجموعة في تاريخ اليمن لعمارة والمختصر من العبر لابن خلدون واخبار القرامطة في اليمن للجندي ، و(هرشفيلد) ديوان حسان بن ثابت و(كركنتوف) قصيدتين لمزاحم العقيلي وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث ابن حلزة اليشكري والطرماح والصحاح للجوهري و(مهرمان) معيد النعم ومبيد النقم للتاج السبكي و (ليل) ديوان عامر بن الطفيل وعبيد بن الابرص وعمرو بن قميئة والمفضليات للضبي مع شرح ابي محمد القاسم الانباري والمعلقات العشر بشرح التبريزي ، و(نيكلسون) كتاب اللمع و(بفن) نقائض جرير والفرزدق ، و(مرجليوث) مع جبر الالفاني حماسة البحتري ، و(متورى) الفاخر للمفضل بن سلمة ، و(مكارتني) ديوان ذي الرمة بشرح الانباري ، و (منغانة) الدين والدولة لابن ربن ، و(سترونغ) فتوح الحبشة لاحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان و(روس) ظفر الواله في تاريخ كجرات للالفنجاني ، و(كوست) تاريخ مصر وولاتها للكندي و(هوبت) كتاب عبد اللطيف البغدادي

ونشر (يوبر) الاميركي النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي و (كوتهيل) الاميركي تاريخ قضاة مصر للكندي وكتاب المطر لابي زيد و(كرنيليوس فانديك) الاميركي رسالة في مرض الجدري والحبة للرازي و(طوري) الاميركي فتوح مصر واخبارها لابن عبد الحكم و (جوث) الاميركي الجزء الثامن من تاريخ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي و (كونيج) الاميركي تاريخ حكام مصر للكندي ، و (جاسترو) الاميركي كتاب ابي زكريا يحيى بن داود صيوج

﴿ في ايطاليا واسبانيا والبرتقال ﴾ كانت ايطاليا اول الامم الغربية التي ذهبت بفضل السبق في نشر الكتب العربية فقد احيا علماؤها المستعربون في مدينة البندقية سنة ١٤٧١ تأليف يحيى بن ماسويه الاصفر الحراني في الطب والفلسفة وطبعوا قانون ابن سينا في الطب مع كتاب الشفاء في سنة ١٥٩٣ وبعدها نشروا رسائل اخرى في المنطق والطبيعة والكلام للرازي وطبعوا تحرير اصول « أقليدس » للطوسي . وانت ترى ان ما سعى الايطاليون الى نشره اولاً كتب العلوم المادية فتداركوا من الضياع بعض ما ابقته الايام من هذه الكتب المهمة . وقد وضع السوريري سوتر من علماء المشرقيات كتاباً فيمن اشتغلوا من العرب بالعلوم الرياضية والفلك فقط فكان عدد من وصل الى

تراجمهم نيفاً وخمسمائة رجل فقدت الآن اكثر كتبهم

ونشر (آماري) المكتبة العربية الصقلية وفيها جميع ما ورد في كتب العرب عن جزيرة صقلية وطبع الشروط والعقود السياسية بين جمهوريات ايطاليا وملاطين مصر وغيرهم وكتاب الاشارات للهروي ونشر (لانزوني) القول المستظرف في سفر مولانا الملك الاشرف وكتاب النخلة للسجستاني ، و(ريينو) كتاب الارصاد الكلية ، و(كايتاني) تجارب الامم لابن مسكويه ، و (جويدي) شرح « بانت سعاد » لابن هشام وكتاب الافعال لابن قرطية والاستدراك لابي بكر الزبيدي ، و (كيسب فللا) كتاب ديوان مصر وزاد المسافر ورسالة لقسطا بن لوقا و (سكياپارلي) ديوان ابن حمديس الصقلي وجزءاً من انس المهج وروض الفرج ومرشدة المطالب في اسنى المطالب لابن بسام وعلم الشعر لابي العباس احمد ابن يحيى ثعلب و (تاليتو) زيج البتاني في الفلك والبيان لابن رشد ، و(غريفيني) فقه زيد بن علي وديوان الاخطل والطبقات لابي بكر الزبيدي ونصوصاً عربية في صقلية وقصيدة منسوبة لامرىء القيس وقصيدة قدم بن قادم وقصيدة الاعشى « ما البكاء » واعد للطبع لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية للامير هشام بن ابراهيم النابلسي ، ونشرت الآنسة (كودتس) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لاسحق بن حسين المنجم ، و (بوجيي) مقامات أبي طاهر التميمي و (روميو) كتاب الفرغاني في الطب ، و (برتولوميو) كتاب النحل للسجستاني و (كوزالوسني) و (لاغوميتا) الصكوك المعينة على تاريخ استيلاء العرب على جزيرة صقلية ملحقاً للمكتبة الصقلية التي نشرها آماري

ونشر (بانكري) الاصبهاني كتاب الزراعة لابن العوام (وكازللا) لغز قابس . واهم ما نشره علماء المشرقيات الاسبان المكتبة الاندلسية نشرها كوديرا و (ريبرا) وهي الصلة لابن بشكوال وبغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس والمعجم لابن الأبار والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار أيضاً وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وفهرست ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خليفة الاشبيلي و (اميليو لافونت) اخبار فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم و (كيروس) علم ما بعد الطبيعة لابن رشد (وآسين) المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس ، و (كتاليس) تقويم الذهن للدالي (وريبره طرغوه) القضاة بقرطبة للخشني القروي . (وشانجاس) اختصار الجبر والمقابلة لابن بدر (وغسبار) ريحانة الكتاب لسان الدين بن الخطيب والجزء الثاني والعشرين من نهاية الارب

للتوبري و (هوبتي) كتاب التواريخ لابن بسام (وكلارزا) فلسفة الاسلام والغربيين ونشر (لوبيس) البرتغالي كتاب احوال البرتغاليين في مالابار الهندية للشيخ زين الدين وكتابات عربية متعلقة بالبرتغال (وصوصه) الصكوك العربية المتعلقة بتاريخ البرتغال

﴿ في روسيا و بولونيا وفنلندا وهنغاريا وتشكوسلوفاكيا ﴾ اولع الروسيون بنشر بنشر خلاصات من كتب العرب فكانوا أشبه بالافرنسيين في هذا المعنى. ومع هذا نشر من ابنائهم (كركاس) الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري و (غوتولد) تاريخ ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني ومعجماً للقرآن والمعلقات ، و (كولسون) الاعلاق النفيسة لابن رسته ، و (خانيكوف) ميزان الحكمة للخازني و (بتروف) طوق الحمامة لابن حزم و (روزن) تاريخ الذيل الذي صنفهُ يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي ومصنفاً في الجبر لابي جعفر الخوارزمي (وكراتشقوفسكي) ديوان الوأواء الدمشقي

ونشروا رحلة ابن فضلان والصور السمائية لعبد الرحمن بن عمر الصوفي و يعرف بكتاب الكواكب الثابتة ونشر (كوفالسكي) اليولوفي ديوان قيس بن الخطيم و(رودلف دلوراك) ديوان ابي فراس الحمداني ونشر (ولين) الفلاندي حائية ابن الفارض (أوميض برق بالأبرق لاحا) مع شرح عبد الغني النابلسي عليها . ونشر (تلكويست) الفلاندي المغرب في حلى المغرب لابن سعيد

ونشر (غولدصيهر) المجري كتاب المعمرين للسجستاني وفضائح الباطنية للغزالي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت وديوان الحطيئة جزول ابن أوس ومعاني النفس ومقالة لكاتب اسرائيلي في اسماء الله الحسنى وصفاتهِ تعالى

﴿ في الدانيمارك والسويد ونروج ﴾ نشر (مهرن) الدنيركي عجائب البر والبحر لشيخ الربوة وعدة تآليف لابن سينا منها رسالة حي ابن يقظان ورسالة في اسرار الحكمة المشرقية. ونشر (تورنبرغ) السويدي تاريخ الكامل لابن الاثير والانيس المطرب لابن ابي زرع الفاسي و (كرولندبرغ) السويدي الفتح القسي في الفتح القدسي لعماد الدين الاصفهاني وديوان زهير بن أبي سلمى للاعلم الشنتمري ، ونشر (موبرج) السويدي درج الغرر ودرج الدرر لليكالي ، و (نيبرج) ثلاث رسائل لابن عربي وهي انشاء الدوائر وعقلة المستوفز والتدبيرات الالهية وكتاب البهجة لابراهم الشبستري ونشر (بروخ) المفصل للزمخشري و (ستروستين) السويدي تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وامرائها لابراهيم مغلطاي وقطعة من كتاب تهذيب اللغة للازهري ونشر

(تورنبرغ) السويدي الانتصار في الرد على ابن الراوندي

﴿ الخلاصة ﴾ هذا بعض ما احياهُ علماء المشرقيات في الغرب من اسفار اجدادنا وهذه الجريدة ادنى الى ان تكون قائمة غير مستوفاة لان بلاد الغرب كبيرة والاستقصاء متعذر بعد عمل القوم هناك قروناً طويلة - وما زالت هذه اللغة كما قلنا مرة من لطف الله بها يخدمها الاعاجم او يغار عليها من ليسوا من ابنائها وقد يحسن الدخيل خدمتها اكثر من الاصيل . خدم الاعاجم حضارة العرب كثيراً في العهد القديم والاعاجمُ في العهد الحديث ما خرجوا معها عن هذه السنة

و بعد فلو لم يسرع الغربيون بنشر كتبنا منذ القرن الخامس عشر للبلاد لتأخر النور عنا مدة ولضاع جانب من ثروتنا العلمية . ولو حدث الانتباه في الغرب للحصول على كتب العرب في القرن العاشر للبلاد لحفظت كنوز كثيرة تبعثرت بالحروب الصليبية في الشام ومصر وتكبة هولاكو في بغداد وبغائم البربر والاسبانيين في الاندلس.وغير ذلك من الخطوب المدلهمة التي اصيبت بها كتب العرب من احراق واغراق وتمزيق وتفريق . ومع هذا فان هذه المادة الصالحة التي تلقفها الغربيون من اسفارنا بعد زمن نهضتهم قد أحيت معالم حضارتنا ولولا عنايتهم البالغة لضاع اكثر ما أبقتهُ الايام لنا لان ما حفظ من كتبنا في بلاد الغرب الاقصى والادنى ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن والهند وفارس وبخارى والاستانة وغيرها هو بقايا ضئيلة من تلك التركة العظيمة

توفر المستعربون على طبع ما ظفروا بهِ من كتبنا ورأوا مصلحة للعلم والآداب أو للسياسة والاستعمار غرضاً في احيائهِ قبل غيرهم ، وقلما طبعوا كتاباً او رسالة الا عن فكر ولقصد ، موفرين العناية بمعارضة النسخ بنسخ مثلها أو الرجوع الى المكان المنقول عنها يجعلون ذلك في الهوامش و يحشونها بالفوائد والاستدراكات والملاحظات وحل المشاكل والمفردات وكانوا يكتبونها لاول الامر باللاتينية لغة العلم عندهم ، ثم اخذ كل واحد يكتبها بلغتهِ أي لغة الناشر . و يفردون لكل كتاب فهرساً بل فهارس للاعلام من البلدان والاشخاص والجبال والآثار والطرق والجسور والجوامع والمدارس والشوارع والدروب والابواق والاسواق والقبائل والامم واسماء الكتب التي وردت في هذا الكتاب ويشفعونها بفهرس القوافي والامثال أيام العرب ان كان السفر من كتب الشعر والادب او بفهرس المفردات ان كان الكتاب في اللغة والطب والهندسة والطبيعة والحكمة والجغرافية والفلك والحيوان والنبات الى غير ذلك مما يجزل الانتفاع من

مطبوعاتهم و يقرب منالها على الطالب . وقد ينشرون الاصل من كتاب و ينقلونهُ الى لغة من لغاتهم أو يقدمون لهُ مقدمة فيها مزايا الكتاب وما يمكن ان يستفيد منهُ العلم الآن وكم من مقدمة حملت روح الكتاب وارواحاً جديدة مع روحهِ

وكل ما طبعهُ اولئك الاعلام يدلّ على صبر طبيعي ، ودؤوب غريب ، وامانة يصفق لها ، وتحرٍ للحق ، وتحرج من التلفيق ، حتى غدت مطبوعاتهم الاَّ ما ندر منها مثال النظر البليغ ، والطبع الجميل ، واكبر معوان على المراجعة والمطالعة والانتفاع بالكتاب حق الانتفاع . وكم من كتاب عظيم ظهر في الشرق غفلاً من الفهارس التي تقرب منالهُ فما هو ان نقل الى الغرب حتى تصدى بعض علمائهِ ووضعوا لهُ الفهارس ليتم الانتفاع بهِ كما فعلوا بكتاب الاغاني وآمالي القالي وغيرهما

و بعد فما يرح العارفون منا يقدرون عمل المستشرقين قدرهُ ، بل يعجبون بهِ ويمجدونهُ ، قال لي استاذي علامة الشام الشيخ طاهر الجزائري : أليس من الغريب ان يكون تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في المانيا أصح من الطبعة التي طبعت في الاستانة ؟ وسمعت استاذي العلامة الشيخ محمد المبارك يقول : لاحظت مع الجماعة الذين تجتمع وإياهم على قراءة سيرة ابن هشام ان الطابع الافرنجي عُني بطبعها وخدمها اكثر من عناية المصححين لها في المطبعة الاميرية في مصر اه . وهذا من عجيب تدقيق علماء المشرقيات وسلامة نظرهم يحسنون طبع تفسير قرآننا وسيرة رسولنا اكثر مما نحسنها ، على حين نحن لم نحرص في كل عصر على شيءٍ حرصنا على علوم الدين ومقوماتهِ واغفلنا ما عداها من العلوم الاَّ قليلاً

لولا عناية المستشرقين باحياء آثارنا لما انتهت الينا تلك الدرر الثمينة التي اخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ ومعجم البلدان ومعجم الادباء وابن جبير وابن بطوطة ومعجم ما استعجم وفتوح البلدان وفهرست ابن النديم ومفاتيح العلوم وطبقات الاطباء واخبار الحكماء والمقدسي والاصطخري وابن حوقل والهمداني وشيخ الربوة الى عشرات من كتب الجغرافية والرحلات التي فسحت امامنا معرفة بلادنا في الماضي ووقفنا على درجة حضارتها . ولولا احياؤهم تاريخ ابن جرير وابن الاثير وابي الفدا واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابي شامة وابن الطقطقي وحمزة الاصفهاني وامثالهم لجهلنا تاريخنا الصحيح واصبحنا في عماية من امرنا . ولو جئنا نعدد حسنات دواوين الشعر وكتب الادب والعلم التي احيوها لطال بنا المطال فلي الذي اوردناهُ من اسمائها فياسلف غنية ، والمقصود بيان تلك المزايا والاشادة بالايادي البيضاء التي اسداها القوم لآدابنا